مناقشات هادئة

بقلم الدكتور
هاشم عبد الفتاح هاشم جودة

مع الدكتور فاندر فى دعوى عدم نسخ القرآن الكريم للكتاب المقدس

« الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ، ماكثين فيه أبداً ، وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً ، مالهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً » .

والصلاة والسلام على من أرسله ربه شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً سيدنا رسول الله محمد وعلى آله وأصحابه الذين ملأوا الدنيا من هدى نبيهم علماً وحلماً وعدلا ونوراً .

وبعد . . .

فإن مجمع البحوث الإسلامية لما قرأ كتابنا العقائد المسيحية بين القرآن والعقل أرسل إلينا الباب الأول من كتاب « ميزان الحق » الذى ألفه الدكتور فاندر باللغة الفارسية فى منتصف القرن التاسع عشر ونشره فى ربوع الهند أرسل إلينا الباب الأول من هذا الكتاب مترجماً باللغة العربية وهو يحتوى على أربعة فصول جعلها كاتبها تحت عنوان عام هو « لا تحريف فى التوراة والإنجيل وقد وفقنا الله تعالى للرد على ما جاء فى هذه الفصول الأربعة من قضايا ومشكلات ، وها نحن ننشر فى هذه المجلة ردنا على الفصل الثانى من فصول هذا الباب ومناقشتنا لصاحبه تحت عنوان مناقشات هادئة مع الدكتور فاندر فى دعوى عدم نسخ القرآن الكريم للكتاب المقدس .

حجج فندناها ود حضناها :

حاول المؤلف أن يثبت فى الفصل الأول بشئ مالديه من وسائل أن القرآن الكريم قد شهد لما تحت أيديهم الآن من كتب وأسفار ، وقد وفقنا الله تعالى فأبطلنا هذه المحاولات كلها بحجج بالغة وبراهين دامغة ، وأثبتنا من خلالها أن القرآن العظيم ما شهد لتلك الأسفار ولا اعترف بها ، بل الذى شهد له القرآن حقا ، ودعى الايمان به صدقا هو ما أنزله الله على رسله من كتب كصحف ابراهيم وتوراة موسى وزابور داود وانجيل عيسى ، وغيرها مما كلفنا بالايمان به جملة وتفصيلا ، وشهد على أرباب هذه الكتب بأنهم أضلوها بعد أنبيائهم فحرفوا بعضها ونسوا بعضها الآخر .

وما أن فرغ المؤلف مما جعله فى الفصل الأول أساسا لبنيانه الشىء الذى آتيناه بحول الله وطوله من القواعد فخر وتهاوى حتى خرج علينا فى هذا الفصل من كتابه بما مفاده أن الكتاب المقدس محكم وغير منسوخ ومنسوق فيما يلى ما احتج به المؤلف على صدق تلك القضية وصحتها ونرد عليه بما يبطل حججه ويدحضها .

الدليل الأول ونقضه :

أولا : زعم الكاتب أن القرآن والسنة لم يشيرا الى نسخ الكتاب المقدس بكلمة واحدة ، بل ان القول بنسخ القرآن لما قبله أمر يشوش تعليم القرآن ويقلبه رأسا على عقب لأن نسخ بمعنى أزال أو أبطل لم يرد فى القرآن الا فى موضعين الأول من (البقرة آية ١٠٦) وهو قوله (ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها) :

والثانى : سورة الحج آية ٥٢ وهو قوله (وما أرسلنا من قبلك من رسول

ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته) فلا توجد فى الموضع الأول ولا الموضع الثانى أى اشارة تدل على أن القرآن ناسخ للكتاب المقدس بل هو ناسخ لنفسه فى بعض أجزائه حتى ان بعضهم عدد الآيات المنسوخة من القرآن فبلغت مائتين وخمسا وعشرين آية وما ذكره البيضاوى من القراءات المختلفة فى آية البقرة هو عند التأمل واحد فى المعنى(١) .

ولا يمكن أن يطلق على تلك القراءات معنى النسخ الذى هو الازالة أو الابطال فالاشارة اذا الى نسخ القرآن نفسه فى بعض أجزائه كما سلف بيانه ، وأما النسخ المشار اليه فى سورة الحج فهو كما ذكر البيضاوى انما كان لما ألقاه الشيطان على لسان النبى ﷺ أثناء قراءته لقوله تعالى فى سورة النجم (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) من قوله « تلك الغرانيق العلا وان شفاعتهن لترتجى » ، فلا وجه اذن للقول بأن القرآن ناسخ للكتاب المقدس هذا أول دليل من أدلة المؤلف على صدق قضيته تلك وصحتها وردا عليه نقول ليست آية البقرة بيانا لنسخ القرآن لنفسه ، ولا هى خالية من الإشارة الى نسخ القرآن للكتاب المقدس كما قال المؤلف وأفتى بل هى أكبر دليل على أن القرآن الكريم ناسخ لجميع ما قبله من الكتب التى أنزلها الله تعالى وأوحى بها الى أنبياء الله ورسله ، وليس فيها على الاطلاق ما يشير الى أن القرآن ناسخ لنفسه لأن معناها كما ذكر المفسرون المنصفون ما ينسخ الله

---

(١) القراءات التى ذكرها البيضاوى وأشار اليها المؤلف فى تدليله على صحة قضيته هى : ١ — ما ننسخ بضم النون من أنسخ ، ٢ — قراءة ابن كثير وأبى عمرو ننسأها أى نأخذها من النسيء ٣ - قرىء ننسها أى ننسى ٤ - قرىء تنسها بالتاء أى أنت يا محمد ٥ - قرىء تنسها بالبناء للمفعول ٦ - قرأ عبد الله ما ننسك من آية أو ننسخها ٧ - قرأ حذيفة ما ننسخ من آية وننسكها باظهار المفعولين ، هذه هى جملة القراءات التى أوردها البيضاوى فى تفسيره ط بيروت ص ٢٢ : ٢٣

معجزة من معجزات الأنبياء السابقين ، أو شرعة من شرائعهم أو حجة من حججهم أو ينسها سبحانه الناس يأت بخير منها أو مثلها ولا راد لحكمه بنسخ معجزة نبي بمعجزة نبي آخر وحجة نبي بحجة نبي آخر بعض أو بانسائه الناس بعضهم حجج الأنبياء الآخرين لا راد لحكمه بهذا أو بذلك لأنه على كل شيء قدير ، ولأنه مالك السموات والأرض وما لأحد من دونه من ولي ولا نصير ولا مانع من وقوع مثل هذا في الكون عقلا بل لابد منه لاصلاح أحوال الناس حالا بعد حال ، وأجيالهم جيلا اثر جيل ، وأطوارهم طورا تلو طور ، فما كل الناس متحدة أحوالهم ولا كل الأجيال متسقة أعصارهم بل لكل حال ما يوائمه ولكل جيل ما يناسبه والله بعباده خبير بصير .

وكيف لا وهاهم اليهود والنصارى كما وضح مثل يذكر قد افتروا على الله ما لم يقله فقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى ، وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم وامنوا بما قالوا وقالت النصارى المسيح ابن الله بئست مقالتهم وكفروا بما قالوا ، وخالف بعضهم بعضا ، فقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء .

الأمر الذي اقتضت حكمة الله أن يرسل رسوله محمدا ﷺ عاما للأنبياء جميعا وأن ينزل عليه القرآن ناسخا لما قبله من الكتب الأخرى مع تصديقه بأصولها وهيمنته عليها وذكره لبعض أمورها .

قال صاحب المنار بعد أن بين أن الآية في قوله تعالى (ما ننسخ من آية) ليس مرادا بها الآية القرآنية ، والمعنى الصحيح الذي يلتئم مع السياق الى آخره أن الآية هنا هي ما يؤيد الله تعالى به الأنبياء من الدلائل على نبوتهم أي (ما ننسخ من آية نقيمها دليلا على نبوة نبي من الانبياء أي نزيلها ونترك تأييد نبي آخر بها ، أو ننسها الناس لطول العهد بمن جاء بها فاتنا بما لنا من القدرة الكاملة والتصرف في الملك نأتي بخير منها في قوة الاقناع واثبات

النبوة أو مثلها فى ذلك ومن كان هذا شأنه فى قدرته وسعة ملكه فلا يتقيد بآية مخصوصة بمنحها جميع أنبيائه ا . هـ(١) .

هذا ماقاله المفسرون فى معنى آية البقرة فأين ماارتآه المؤلف من كونها خالية من الاشارة الى نسخ الكتاب المقدس ومشيرة الى نسخ القرآن ؟ .واذ قال قائل أين الآية الدالة اذن على نسخ القرآن بالقرآن قلنا انها قوله (واذا بدلنا اية مكان اية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون) النحل ١٠١ ، وأما آية الحج فليس معناها نسخ ما جرى على لسان النبى ﷺ من قول الشيطان، تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى، كما زعم الزاعمون وافترى المفترون اذ حاشاه ﷺ أن يتسلط الشيطان عليه فيلبس ما أوحى الله به اليه لأنه عليه الصلاة والسلام لو جاز عليه ذلك لما أمن اخذ الشريعة منه خوفا من الوهم والالتباس ولا تنتفت عنه العصمة التى أثبتها الله تعالى له بقوله (والله يعصمك من الناس) المائدة ٦٧ .

ولا قيمة للروايات التى ذكرت هذا الخبر وصرحت به لأنها روايات لم يقل بصحتها أحد من جهابذة الحديث الأماثل وأئمته العلماء الأفاضل، بل الوارد عنهم أن هذه روايات غير صحيحة ومدسوسة على الاسلام وان صرح بها فى بعض كتب التفسير : قال القرطبى نقلا عن القاضى عياض فى هذا الصدد مانصه : فيكفيك ان هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ، ولا رواه بسند صحيح سليم متصل ثقة ، وانما أولع به وبمثله المفسرون المؤرخون المولعون بكل غريب، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم. قال أبو بكر البزار : وهذا حديث لا نعلمه يروى عن النبى ﷺ باسناد متصل يجوز ذكره ، إلا ما رواه شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فيما أحسب ، والشك فى الحديث أن النبى ﷺ كان بمكة وذكر القصة ، ولم يسنده عن شعبة الا أمية بن خالد وغيره يرسله عن سعيد بن

---

(١) تفسير المنار للشيخ رشيد رضا ج ١ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ٣٤٣ : ٣٤٤

جبير ، وانما يعرف عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، فقد بين ذلك أبو بكر رحمه الله أنه لا يعرف من طريق يجوز ذكره سوى هذا ، وفيه من الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك فيه الذى ذكرناه ، الذى لا يوثق به ولا حقيقة معه .

وأما حديث الكلبي فما لا تجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه ، كما أشار إليه البزار رحمه الله ، والذى منه فى الصحيح : أن النبي ﷺ قرأ : والنجم بمكة فسجد وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس ، ا هـ(١)

وقال البيضاوى الذى احتج المؤلف بكلامه بعد ما ذكر هذه الرواية «وهو مردود عند المحققين» ا . هـ(٢) .

ليس هذا معنى الآية الكريمة ولا مضمونها كما قلنا سلفا ، بل معناها — والله أعلم بمراده من كتابه — كما يفهم من سباقها وسياقها ولحاقها — أنا ما أرسلنا قبلك يا محمد من رسول ولا نبى إلا إذا حدث قومه بحديث من من عند الله ألقى الشيطان فى قلوبهم من الأباطيل والوساوس ما يحرفون به الحديث فينحرفون بسبب ذلك عن الجادة والمنهج القويم فينسخ الله ما يلقى الشيطان فى شرع هذا النبي أو الرسول مما ينزله سبحانه وتعالى : أو يوحى به رسول آخر ، ثم يحكم الله فى النهاية آياته بإرسال النبي الخاتم الذى لا تنسخ شريعته شريعة أخرى ، ولا يلغى كتابه كتاب آخر والله عليم بأحوال عباده حكيم فيما يشرع لهم من شرائع ويرسل لهم من رسل ، وقد جعل سبحانه هذا الإلقاء الشيطانى واقعا ومكنه منه مع أنه قادر على منعه من كل ذلك ليفتن به ، ذوى القلوب المريضة ، أو القاسية وأن الظالمين لفى شقاق بعيد ، ذلك فيما نرى هو أصح ما ينبغى أن تحمل عليه الآية الكريمة لما يأتى:

١ — قوله تعالى : فى أول هذه الآية (من قبلك) يفيد أن حديثها

---

(١) تفسير القرطبى جـ ١٢ دار أحياء التراث العربى بيروت لبنان ص ١٢

(٢) تفسير البيضاوى جـ ١٩ ط بيروت صـ ٣٤٧

عن الرسل والأنبياء السابقين لا عن محمد ﷺ : فما وجه إدخاله معهم فيه ؟ .

٢ — ما ذكره تعالى فى الآيات السابقة من تكذيب القدامى لرسلهم وتعذيب الله لهم على ذلك بشتى أنواع العذاب والنكال يدل فيما نرى على أن تلك الآية الكريمة قد سيقت هنا لبيان سر تكذيب هؤلاء وسبب انحرافهم عن الصراط المستقيم .

٣ — قوله سبحانه بعد هذه الآية مباشرة (وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم)دليل قوى فى رأينا على أن ما فى تلك الآية الكريمة من بيان لنسخ الله تعالى: مايلقيه الشيطان فى حديث نبى أو رسول بحديث نبى أو رسول آخر وأحكام ذلك الأمر فى النهاية بالرسول الخاتم .

والحديث الأخير الذى هو القرآن العظيم ، إنما سيق ليعلم أهل العلم بالدين والكتب المنزلة على الأنبياء والمرسلين فيؤمنوا به فتخضع له قلوبهم وتطمئن به (وأن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم) .

الدليل الثانى ونقضه :

ثانيا : لا صحة لما استشهد به المؤلف على عدم نسخ القرآن للكتاب المقدس من قوله قال الشيخ رحمت الله الهندى فى كتابه إظهار الحق أن القول بنسخ التوراة بنزول الزبور ونسخ الزبور بظهور الإنجيل بهتان لا أثر له فى القرآن ولا فى التفاسير بل لا أثر له فى كتاب من الكتب المعتبرة لأهل الإسلام — والزبور عندنا ليس بناسخ للتوراة ولا بمنسوخ من الإنجيل ، وكان داود عليه السلام على شريعة موسى عليه السلام وكان الزبور أدعية .

لا صحة لهذا الاستشهاد ولا اعتداد به لأن الشيخ رحمت الله الهندى لم

لم يقل هذا الكلام فى كتابه ولا فى غيره ، بل نسبه إليه المؤلف زورا ، وادعاءا وبهتانا وافتراء ، والذى قاله فى كتابه — بعد تعريفه النسخ وتبيين أنه ليس من البداء فى شىء وبيان مايقع فيـــه النسخ كالأحكام العملية وما لا نسخ فيه كالقصص والأدعية والإعتقادات — هو بالنص ما يأتى :

« وإذا علمت هذا فأقول ليست قصة من القصص المندرجة فى العهد العتيق والجديد منسوخة عندنا ، نعم بعضها كاذب مثل أن لوطا عليه السلام زنى بابنتيه وحملتا بالزنا من الأب كما هو مكتوب فى الإصحاح التاسع عشر من سفر التكوين أو أن يهوذا ابن يعقوب عليه السلام زنى بثامار زوجة ابنه وحملت بالزنا منه فولدت توأمين فارض وزارج كما هو مذكور فى الإصحاح الثامن والثلاثين من السفر المذكور وداود وسليمان وعيسى عليهم السلام كلهم من أولاد فارض المذكور كما جاء فى الإصحاح الأول من إنجيل متى ، أو أن داود عليه السلام زنى بامرأة أوريا وحملت بالزنا منه فأهلك زوجها بالمكر وأخذها زوجة له كما هو مذكور فى الإصحاح الحادى عشر من سفر صموئيل الثانى أو أن سليمان عليه السلام ارتد فى آخر عمره وكان يعبد الأصنام بعد الإرتداد وبنى المعابد لها كما جاء فى الإصحاح الحادى عشر من سفر الملوك الأول . أو أن هارون عليه السلام بنى معبدا للعجل وعبده ، وأمر بنى إسرائيل بعبادته كما هو مذكور فى الإصحاح الثانى والثلاثين من سفر الخروج فنقول : أن هذه القصص وأمثالها كاذبة باطلة عندنا ولا نقول أنها منسوخة والأمور القطعية العقلية والحسية والأحكام الواجبة والأحكام المؤبدة والأحكام الوقتية قبل أوقاتها والأحكام المطلقة التى يفرض فيها الوقت ، والمكلف والوجه متحد لاتكون هذه الأشياء كلها منسوخة لإلزام الشناعة ، وكذا لاتكون الأدعية منسوخة فلا يكون الزبور الذى هو أدعية منسوخا بالمعنى المصطلح عندنا ، ولانقول قطعا أنه ناسخ للتوراة ومنسوخ من الإنجيل كما افترى هذا الأمر على أهل الإسلام صاحب (ميزان الحق) وقال « أن هذا الأمر مصرح به فى القرآن والتفاسير » : وإنما منعنا من استعمال

الزبور والأسفار الأخرى من العهد العتيق والجديد لأنها مشكوك فيها يقينا بسبب عدم أسانيدها المتصلة وثبوت وقوع التحريف اللفظى فيها بجميع أقسامه كما عرفت فى الباب الثانى ، ويجوز النسخ فى غير المذكورات من الأحكام المطلقة الصالحة للنسخ ، فنعترف بأن بعض الأحكام فى التوراة والإنجيل من الأحكام التى هى من جنس الأحكام الصالحة للنسخ منسوخة فى الشريعة المحمدية ولا نقول أن كل حكم من أحكامها منسوخ كيف وأن بعض أحكام التوراة لم تنسخ يقينا مثل : حرمة اليمين الكاذبة والقتل والزنا واللواطة والسرقة وشهادة الزور والخيانة فى مال الجار وعرضه ووجوب إكرام الأبوين ، وحرمة نكاح الآباء من بناتهم والأمهات من أبنائهن ، والبنات من إخوانهن والخالات من أولاد أخواتهن ، وكذلك حرمة الجمع بين الأختين وغير ذلك من الأحكام الكثيرة وكذا بعض أحكام الإنجيل لم تنسخ يقينا ، مثلا وقع فى الاصحاح الثانى عشر من انجيل مرقس هكذا ٢٩ «فأجابه يسوع أن أول كل الوصايا هى : اسمع يا إسرائيل الرب الهنا رب واحد ٣٠» وتحب الرب آلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ، ومن كل فكرك ومن كل قدرتك . هذه هى الوصية الأولى ٣٠» وثانية مثلها هى تحب قريبك كنفسك ليس وصية أخرى أعظم من هاتين «فهذان الحكمان باقيان فى شريعتنا على أوكد وجه وليسا بمنسوخين ا ، هـ(١) .

هذا ما قاله الشيخ فى كتابه فأين ماقيه من الشهادة للكتاب المقدس بأنه محكم وغير منسوخ كما تقول المؤلف وادعى .

---

(١) إظهار الحق للشيخ رحمت الله الهندى دار التراث العربى تحقيق أحمد السقا ص٢٩٦: ٢٩٧

الدليل الثالث :

زعم المؤلف أن القارىء للكتاب المقدس يرى بمزيد من الوضوح أن تعاليم أسفار العهد القديم والعهد الجديد واحدة وأنها سائرة على نظام واحد، وأفاض فى بيان ذلك الزعم وتوضيحه فاستعرض أسفار العهدين من ابتداء سفر التكوين إلى نهاية سفر الرؤيا استعراضا موجزا خرج منـــه بأن الكتاب المقدس أشبه ما يكون بعمارة عجيبة فالتوراة أساسها والانجيل ختامها وبأن كلا منهما يظهر حكمة الله وعدالته ومحبته ورحمته الفائقه وأنه خالق كل الأشياء .

ثم قال عن ما فى التوراة من طقوس مادية وما فى الأنجيل من تعاليم روحانيه ماخلاصته أن الشريعة الطقسية فى التوراة قد ارتقت فى الانجيل إلى الروحانية الملائمة لجميع البشر حيث أن العهد القديم كان بين الله وبنى إسرائيل فقط ومدته انتهت بمجيء المسيح وتأسيس ملكوته .

وأما العهد الجديد الذى تنبأ به أرميا النبي فعهد بين الله والمؤمنين بالمسيح سواء كانوا من بنى إسرائيل أو من الأمم فهذا العهد الأخير أعم وأهم من الأول لأن الأول كان قائما على فرائض وطقوس ورسوم تؤدب بنى إسرائيل فقط على إدراك الحقائق الروحية تدريجيا استعدادا لأن يكونوا تلاميذ للمسيح وأساتذة العالم أجمع فالعهد الأول والحالة هذه يشبه بذرة محصورة فى دائرة ضيقة .

وأما العهد الجديد فيشبه شجرة متأصلة نامية شاغلة مكانا مقسما فكان بذرة العهد القديم أنبتت شجرة العهد الجديد والاثنان واحد جوهرا وأن اختلفتا ظاهرا فلا وجه إذا لقول قائل بنسخ العهد الجديد للعهد القديم وقسم وصايا التوراة عامة إلى قسمين أحدهما : الوصايا الطقوسية وهى التى تطورت فى الانجيل إلى الروحانيات .

وثانيهما : الوصايا الأدبية وهى التى لا يصيبها تغير أو تطور ، بل هى فى العهدين واحد ومثل هذه الوصايا بحرمة الزنا وحرمة القتل وحرمة اليمين الكاذبة إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة التى ذكرها فى هذا الصدد .

ومثل للوصاية الطقوسية بالختان الذى ارتقى من إيلام الجسد بقطع جزء منه إلى التطهير الروحانى بالمعمودية وبما تقرر فى التوراة وفيما قبلها من تقديم الذبائح قرباناً لله الذى تم فى الإنجيل بتقديم الذبيحة العظمى ألا وهى المسيح عيسى بن مريم ، وبما يقدمه النصارى بعد ذلك من ذبائح نفوسهم ليكونوا ذبائح حية مقدسة مرضية عند الله الحى الأزلى .

وبشريعة غسل الجسد بالماء فى التوراة فى التوراة لتنظيفه من النجاسات والأرجاس التى ارتقت فى الإنجيل إلى غسل الروح بدم المسيح لأن غسل الجسد بالماء قد صار عديم الفائدة فى تربية النفس وتهذيبها إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة التى ساقها نياقته فى هذا المجال تلك خلاصة موجزة لما كتبه المؤلف فى أكثر من عشرين صفحة عن اتحاد الكتاب المقدس تمهيداً منه بين يدى تساؤل أورده بعد ذلك وأجاب عنه حيث قال ما نصه : —

ربما يظهر للبعض أنه لمناسبة تقدم العالم فى المدنية والحضارة فالدين الذى كان ملائماً للناس فى زمن موسى لم يلائمهم فى زمن المسيح إذ أنه عتق وشاخ ، ومثل ذلك الدين الذى وضعه المسيح إذا مر عليه ستمائة سنة خلق وقدم أيضاً ولم يعد يلائم العالم فى عصر محمد فولى الأدبار أيضا وقام مقامه الإسلام .

فرداً على ذلك نقول (أولا) بما أن الطقوس والرسوم الدينية هى رموز تشبيهية فيجوز أن تهرم وتشيخ متى أتى المرموز إليه وعوضا عما كانت مفيدة فى زمن الرمز بها لا تكون مفيدة فى العصور الأخرى ، بل ربما أضرت فهذا مسلم . أما المبادىء الجوهرية للدين الحق فلا تقبل التغيير ولا يؤثر عليها مرور القرون واختلاف العصور كالشريعة الأدبية ، فإنها وإن كانت حقا وواجبة فى زمن تبقى كذلك فى كل الأزمان فمبادىء شريعة

موسى الادبية كانت حقا فى زمن آدم وإبراهيم والمسيح وهى حق فى هذا الزمان وتبقى حقا إلى يوم القيامة . بل إلى مالا نهاية له لان جوهر الدين الحق لايقبل التغيير ولا يعجز عن التأثير .

(ثانيا) نقول إن كان العالم قد تقدم فى المدنية والعلم يقتضى تقدمه فى الدين أيضا ولو سلمنا جدلا أن عصر محمد وجزيرة العرب مسقط رأسه كان أكثر حضارة وأرقى مدنية فى بلاد فلسطين ومن الأمة اليهودية فى عصر المسيح واقتضى تنزيل دين الاسلام مشابها لهذه المدنيه الباهرة لكان من اللازم أن يكون الاسلام راقيا كرقى الديانة المسيحية على الأقل من حيث المبادىء الأدبية وروحانية العبادة والعتق من نير الطقوس اليهودية المتراكمة قبل الاسلام ولو هذا الرقى من هذه الحيثيات أم يرجع القهقرى إلى زمن موسى ؟ أننا نترك الحكم لأهل الانصاف والخبرة بالتوراة والانجيل والقرآن .

(ثالثا) نقول أن الطبيعة البشرية واحدة فى كل العصور من حيث احتياجاتها وأميالها والفساد المتسلط عليها لذلك يحتاج البشر أجمعون إلى روح الله القدوس ليظهر قلوبهم من زمن مضى أو حاضر أو مستقبل إلا أن ابن آدم مائل للخطيئة ويحتاج إلى يد تنتشله وتقربه إلى الله على الرغم من أمياله الطبيعية وهذه اليد الناشلة لايمكن الوصول إليها إلا أن كان يتفضل الله علينا ويحبنا أولا ويكون هو البادىء بالصلح . نعم هذا هو الانجيل بعينه لانه إعلان محبة الله للعالم الاثيم . قال الرسول يوحنا أحد الحواريين الاثنى عشر « نحبه لأنه أحبنا أولا » .

فهذه الطريقة هى أرقى وأشجع وأفضل طريقة معقولة لاجتذاب الانسان الى الله ومصالحته مع خالقه سبحانه وتعالى من أجل ذلك لايقدر يتصور العقل البشرى وسيله دينيه تحمل الانسان على انكار نفسه والعروج الى أرقى درجات الصلاح والتعبد لله مثل الايمان بأن الله أحبنا أولا وبذل ابنه من أجلنا(١) ا. هـ كلام المؤلف .

(١) ميزان الحق للمؤلف صـ ٨٧ ، ٨٩

نقض هذا الدليل وأبطاله :

ونحن نقول رداً على هذا الكلام وتصحيحاً له لاخلاف بيننا وبين المؤلف فى أن الوصايا الأدبية كما يسميها هو أو أصول الدين كما نسميها ونحن مثل وجود الصانع عز وجل وتوحيده سبحانه ، وكذا الأدعية والأمور الحسية كضوء النهار وظلمة الليل والأحكام المؤبدة مثل « ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً » ولأحكام المؤقتة قبل أن يأتى وقتها مثل «فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره» والقصص الالهى الصحيح أزلية أبديه لا يعتريها نسخ ولا تبديل . أما الشريعة الطقسية كما يسميها المؤلف ، أو الأحكام العملية المطلقة كما نسميها نحن فتلك هى التى يطرأ النسخ عليها بشرط عدم إتحاد الوقت والمكلف والوجه، بل لابد لامكان وقوع النسخ فيها من الاختلاف فى الكل أو البعض من هذه الشروط الثلاثة وما تطور الشرائع الطقسية فى التوراة وارتقائها إلى الروحانيات المذكورة فى الانجيل كما زعم المؤلف إلا ابطال لتلك الشرائع ونسخ لها بدليل أن المتمسكين بالانجيل يباشرون المعمودية مثلا بدل الختان الذى هو قطع جزء من الجسد ، والمتمسكين بالتوراة يباشرون الختان بدل المعمودية وهذا بالتأكيد غير هذا فمن عمل بالثانى منهما فهو تارك للأول وعليه فلا شك أن الأول عندنا منسوخ بالثانى وليس معنى النسخ المصطلح عليه(١) أن الله تعالى أمر أو نهى أولا ، وما كان

---

(١) النسخ المصطلح عليه عندنا هو بيان مدة انتهاء الحكم العملى الجامع للشروط الآتية :

أن يكون الحكم محتمل الوجود والعدم ، أن يكون غير مؤبد بل يكون مطلقا ، أن لا يكون متحد الوقت والمكلف الوجه .

يعلم عاقبة الأمر والنهى ثم بدا له رأى فنسخ الحكم الأول لأن هذا جهل والجهل على الله تعالى محال ، بل معناه كما ذكر صاحب الاظهار أن الله كان يعلم أن هذا الحكم يكون باقيا على المكلفين إلى الوقت الفلانى ثم ينسخ فلما جاء الوقت أرسل حكما آخر ظهر منه الزيادة والنقصان أو الرفع مطلقا ، ففى الحقيقة هذا بيان انتهاء الحكم الأول ، لكن لما لم يكن الوقت مذكوراً فى الحكم الأول فعند ورود الثانى نتخيل لقصور علمنا فى الظاهر أنه تغيير ، ونظيره بلا تشبيه أن تأمر خادمك الذى تعلم حاله بخدمة من الخدمات ويكون فى نيتك أن يكون على هذه الخدمة إلى سنة مثلا ، وبعد السنة يكون على خدمة أخرى لكن ما أظهرت عزمك ونيتك عليه . فإذا مضت المدة ، وعينته على خدمة أخرى فهذا بحسب الظاهر عند الخادم وكذا عند غيره الذى ما أخبرته من نيتك تغيير وأما فى الحقيقة وعندك فليس بتغيير ، ولا إستحالة فى هذا المعنى لا بالنسبة إلى ذات الله ولا إلى صفاته ، فكما أن فى تبديل المواسم مثل الربيع والصيف والخريف والشتاء ، وكذا فى تبديل الليل والنهار وتبديل حالات الناس مثل الفقر والغنى و صحة والمرض وغيرها حكما ، مصالح لله تعالى سواء ظهرت لنا الحكمة أو لم تظهر فكذلك فى نسخ الأحكام ومصالح له نظراً إلى حال المكلفين وحال الزمان والمكان ألا ترى أن الطبيب الحاذق يبدل الأدوية والأغذية بملاحظة حالات المريض وغيرها على حسب المصلحة التى يراها ، ولا يحمل أحد فعله على العبث والسفاهة والجهل . فكيف يظن عاقل هذه الأمور فى الحكيم المطلق العالم بالأشياء بالعلم القديم الأزلى الأبدى ؟! . هـ(١) .

من هذا يتبين أن المقصود بنسخ القرآن لما سبقه فى الكتب السماوية

---

(١) إظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندى جـ ١ ص ٢٩٥ : ٢٩٦ ط دار التراث العربى للطباعة والنشر .

من أحكام عملية معللة ، إنما هو بيان إنتهاء مدة العمل بهذه الأحكام التى علم الله أزلا أن العمل بها ستنتهى مدته فى هذا الوقت من الزمان ، وابتداء العمل بالأحكام الجديدة بالنسبة إلينا لا بالنسبة لعلم الله تعالى إذ قد علم سبحانه أزلا أن العمل بهذه الأحكام سيبدأ فى وقت كذا فلما حان حينه وآن آوانه أمرنا الله تعالى بالعمل بتلك الأحكام لما عرفه سبحانه أزلا من ملاءمتها للعصر الذى نزلت فيه ولما سيأتى بعده من عصور أخرى .

ولم يسع المؤلف رغم دفاعه المستميت عن عدم نسخ التوراة بالانجيل إلا أن يعلن هذه الحقيقة رغما عنه حيث يقول (العهد القديم كان بين الله وبنى إسرائيل فقط ومدته إنتهت بمجىء المسيح وتأسيس ملكوته) ونحن نقول له أن الذى أنهى العهد القديم فى نظرك بمجىء المسيح وتأسيس ملكوته قد أنهى العهدين معاً بمجىء المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم ونزول القرآن عليه بدليل أن التبشير بذلك النبى العظيم قد صرح الله تعالى به على لسان عيسى عليه السلام فى القرآن الكريم ، وأشارت إليه عبارات كثيرة فى العهدين الجديد والقديم رغم ما أصابهما من تحريف وتبديل وإضافة وتغيير .

فأما العهد القديم فما جاء فيه عن ذلك قوله فى الاصحاح الثامن عشر من سفر التثنية الفقرات ١٥ : ٢٣ « يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من أخوتك مثلى له تسمعون حسب كل ما طلبت من الرب الهك فى حوريب يوم الاجتماع قائلا لأعود أسمع صوت الرب الهى ولا أرى هذه النار العظيمة أيضاً لئلا أموت قال لى الرب قد أحسنوا فى ما تكلموا ، أقيم لهم نبيا من وسط أخوتهم مثلك واجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه

به ويكون أن الإنسان لايسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه ، وأما النبى الذى يطغى فيتكلم باسمى كلاما لم أوصه أن يتكلم به أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبى ، فما وإن قلت فى قلبك كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب فما تكلم به النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يعد ، فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبى فلا تخف منه » .

والمتأمل فى هذا النص يجد أن فى قوله « يقيم لك الرب الهك نبيا » وقوله « وسوف أقيم لهم نبيا » بشارة صريحة لموسى عليه السلام بنبى يأتى من بعده ، وهذا النبى المبشر به ليس يشوع عليه السلام كما يزعم أحبار اليهود ولا هو عيسى عليه السلام كما يزعم علماء النصارى ، بل النبى المبشر به فى هذا النص هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لما يأتى :

(ا) كان يشوع مع موسى عليه السلام ومن بعده ، وقد رآه اليهود وعايشوه ومع ذلك فإن اليهود الذين عاصروا عيسى عليه السلام كانوا ينتظرون نبيا آخر مبشرا به عندهم بدليل ما جاء فى الاصحاح الأول من انجيل يوحنا من أن يهود أورشليم المقيد أرسلوا إلى يوحنا من يسأله عن هويته فقال لهم لست أنا المسيح ، قالوا أفأنت ايليا ، قال ولا أنا ايليا ، قالوا فأنت النبى إذن قال ولا أنا بالنبى أيضاً .

فلو لم يكن لديهم ما يفيد ظهور نبى غير يشوع الذى كانوا بعد ظهورها بزمن طويل ، وعيسى عليه السلام الذى كانوا يعاصرونه مازعموا أن يوحنا كاجاء فى سؤالهم النبى المعهود الذى أخبرعنه موسى فى الاصحاح الثامن عشر من سفر التثنية على ما بيناه سلفا .

(ب) أن قوله فى النص السالف (سوف أقيم) يعنى أن النبى المبشر به

لم يكن موجوداً مع موسى عليه السلام ويشوع الذى زعموه محل تلك البشارة كان موجوداً فى زمان موسى حاضرا معه فكيف تصدق عليه تلك البشارة .

(ج) أن ما جاء فى النص السالف من قوله « أجعل كلامى فى فمه » يشير إلى أن ذلك النبى المبشر به سينزل عليه كتاب ، وإلى أنه سيكون أميا حافظا للكلام وذلك لا يصدق على يسوع لانتفاء كلا الأمرين عنه .

(د) أن المثلية الواردة فى قوله « وسوف أقيم لهم نبيا مثلك » حاصلة بين موسى ومحمد عليهما السلام فى أمور كثيرة منها : أن كلا منهما عبد الله ورسوله وأن لكل منهما والدين وأن كل منهما ذو نكاح وأولاد وأن شريعة كل منهما مشتملة على سياسات مدنية ، وأن كلا منها مأمور بالجهاد فى سبيل الله وأن الطهارة وقت العبادة ووجوب الغسل على الجنب والحائض والنفساء ، وطهارة الثوب من البول والغائط ، وحرمة غير المذبوح ، والقرابين للاوثان مأمور به فى شريعة كل منهما ، وأن شريعتهما مشتملة أيضاً على العبادات البدنية ، والأمر بحد الزنا ، وتعيين الحدود والتعاذير — والقصاص وتحريم الربا ، وأن كلا منهما قدمات على فراشه ودفن فى قبره دون ما قتل أو صلب ، أو اختفاء ، إلى آخر تلك الأمور الكثيرة التى يشترك فيها موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ولعل هذا التماثل هو السر فى تشبيه الله سبحانه — لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم إلى قومه برسالة موسى إلى فرعون حيث يقول (إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا) المزمل ١٥ وفيما حكاه القرآن عن الذين صرفوا من الجن لاستماع القرآن من رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حين ذهبوا إلى قومهم بعد ذلك (قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى إلى الحق وإلى طريق مستقيم) الأحقاف ٣٠

ولا يوجد شيء من هذا التماثل بين موسى ويسوع وعيسى عليهم السلام لما ثبت في التوراة من أن أحدا من بني إسرائيل ليس مثل موسى على ماصرحت به الآية العاشرة من الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر التثنية حيث تقول : « ولم يقم بعد ذلك نبي في بني إسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجها لوجه ويشوع وعيسى عليهما السلام من بني إسرائيل فلامثلية بينهما وبين موسى عليهم السلام ، إذ لو وجدت مثلية بينهم للزم عليه وقوع الكذب الصراح في التوراة وهذا مالايقولون به .

ومن جهة أخرى فإن موسى كان صاحب كتاب ، ولم يكن كذلك يشوع عليه السلام فكيف تتأتى المثلية بينهما ؟.

وكيف تتأتى المثلية بين موسى الذي هو عبدالله ورسوله عيسى الذي زعمه النصارى الهادين له بالعبودية سائر الناس ومنهم موسى عليه السلام وكذلك فإن شريعة موسى مشتملة على أمور عملية كالحدود والتعازير ، بخلاف شريعة عيسى عليه السلام فانها خالية منها على مانشهد به أناجيلهم . وكان موسى عليه السلام رئيساً مطاعاً في قومه نفاذا لأوامره ونواهيه بخلاف عيسى عليه السلام فإنه لم يكن كذلك .

(ه) جاء التصريح في هذه البشارة بأن النبي الذي ينسب إلى الله ما لم يأمر به يقتل ، وقد جاء نظير ذلك في القرآن حيث يقول سبحانه عن محمد ﷺ (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين) الحاقة ٤٤ : ٤٦

فلو لم يكن محمد ﷺ نبياً حقاً لقتل ، لكنه لم يقتل بل تكفله الله سبحانه بحفظه ورعايته ، وأخبر بذلك في كتابه الكريم حيث يقول (والله يعصمك من الناس) المائدة ٦٧

وقد أنجز الحق وعده فانتقل رسول الله على كثرة أعدائه ، وعدم اتخاذه

الحراس لنفسه بعد هذه الآية ، بل بقى يؤدى الرسالة ، ويبلغ الأمانة حتى لحق بالرفيق الأعلى وهو على فراشه وبين أهـــله وذويه ، بخلاف عيسى عليه السلام فإنه قد رفع إلى الملا الأعلى كما أخبر الله بذلك فى قوله (وماقتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما) النساء ١٥٧

فلو كانت هذه البشارة بعيسى عليه السلام وهو على زعمهم قد قتل للزم أن يكون نبيا كاذبا كما يزعم اليهود لعنهم الله .

(و) ماجاء فى النص السالف من قوله « فالمتكلم به النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصر فهو الذى لم يتكلم به الرب » .

يفيد أن علامات النبى الكاذب أن يقع مايخبر به من أمور الغيب على غير ما أخبر به ، أو شىء مما يخبر به من المغيبات .

وقد ثبت صدق رسول الله ﷺ فى كل ما أخبر به سواء أكان من الماضى أو الحاضر أو المستقبل، فدل هذا على أنه النبى الصادق المبشر بإتيانه بعد موسى حقا .

(ز) قد أقر كثيرون من علماء اليهود فى زمن النبى ﷺ بأن محمد ﷺ هو نبى آخر الزمان المبشر به فى التوراة ، ومنهم من آمن ، ومنهم من بقى على كفره وعناده ، وفى السيرة وكتب الحديث الصحيحة كثير من هذه الأخبار فلو لم تكن البشارة بالنبى واضحة فى التوراة ما أقر بها علماء يهود اهـ(١) .

وأما العهد الجديد فما جاء فيه عن التبشير بنبى آخر الزمان ماتقله من

---

(١) العقائد المسيحية بين القرآن والعقل للدكتور هاشم جوده ص ٣٢ : ٣٨

فى الإصحاح الحادى والعشرين من إنجيله الفقرات ٣٣ : ٤٥ عن عيسى عليه السلام من قوله « استمعوا مثلا آخر كان إنسان رب بيت غرس كرما وأحاطه بسياج وحفر فيه معصرة وبنى برجا وسلمه إلى الكرامين وسافر ولما قرب وقت الإثمار أرسل عبيده إلى الكرامين ليأخذ أثماره فأخذ الكرامون عبيده وجلدوا بعضا وقتلوا بعضا ، ورجموا بعضا ثم أرسل أيضا عبيداً آخرين أكثر من الأولين ففعلوا بهم كذلك فأخيرا أرسل إليهم ابنه قائلا يهابون ابنى وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم هذا هو الوارث هلموا نقتله ، ونأخذ ميراثه فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه ، فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين قالوا له أولئك الأردياء يهلكهم هلاكا رديا ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين يعطونه الأثمار فى أوقاتها ، قال لهم يسوع أما قرأتم قط فى الكتب الحجر الذى رفضه البناؤن هو قد صار رأس الزاوية من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا ، لذلك أقول لكم أن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره . ومن سقط على هذا الحجر يترضرض ومن سقط هو عليه يسحقه ، ولما سمع رؤساء الكهنة ، والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم » .

وكذا حديث عيسى الأخير الذى انفرد يوحنا بتسجيله فى إنجيله على مدى أربع إصحاحات كاملة من أول الإصحاح الرابع عشر إلى آخر الاصحاح السابع عشر .

والباحث فى نقل متى السالف يجد أن رب البيت هو كناية عن الله عز وجل والكرم كناية عن الشريعة وإحاطته بسياج وحفر معصرة فيه وبناء برج ، كنايات عن بيان المحرمات والمباحات والأوامر والنواهى ، والكرامون الطاغون كناية عن اليهود كما فهمه رؤساء الكهنة والفريسيون ، والعبيد المرسلون كناية عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والابن كناية عن عيسى عليه السلام على ماجاء فى مزاعمهم الباطلة أو على تأويل كلمة الابن

هنا بالعبد الصالح والحجر كناية عن محمد صلى الله عليه وسلم وهو الحجر الذى إذا سقط عليه أحد ترضرض ، وإذا سقط على أحد سحقه ، والأمة التى تعمل أثماره كناية عن أمته صلى الله عليه وسلم ، وما أدعاه علماء النصارى من أن الحجر هو كناية عن عيسى عليه السلام فمردود لما يأتى :

١ — قد شبه النبى ﷺ باللبنة التى يحسن البناء بها فى حديثه الصحيح حيث يقول « مثلى ومثل الأنبياء قبلى كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة فجعل الناس يطوفون به ويقولون ما أحسنه وما أجمله إلا موضع هذه اللبنة فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » .

ولم يثبت عن عيسى أنه شبه نفسه بمثل ذلك التشبيه فدل هذا على أن لفظ الحجر الوارد فى النص السالف هو كناية عن محمد صلى الله عليه وسلم لا عن غيره .

٢ — قول داود عليه السلام الحجر الذى رفضه البناؤن قد صار رأس الزاوية ، من قبل الرب كان هذا هو عجيب فى أعيننا ، يفيد أن اليهود عامة وداود خاصة يعجبون من كون الحجر الذى تركه البناؤن ولم يستعملوه فى البناء لعدم استحسانهم له قد صار بأمر الله رأس الزاوية ، فلو كان هذا الحجر كناية عن عيسى عليه السلام ، ماصدر منهم هذا العجب فى حقه ، لأن عيسى من آل يهوذا من آل داود عليه السلام ، فهو من اليهود ، فكيف يعجب اليهود من كون واحد منهم قد صار رأس الزاوية ، وكيف يصدر العجب من ذلك عن داود بصفة خاصة مع أنه كما يزعم المسيحيون بعظم عيسى عليه السلام فى مزاميره تعظيما بليغا ، ويعتقد الألوهية فى حقه بخلاف ما إذا قلنا أن الحجر كناية عن محمد صلى الله عليه وسلم فان تعجبهم هذا يكون مقبولا لأنهم كانوا يحقرون أولاد إسماعيل غاية التحقير فيكون واحد منهم

يصير رأسا للزاوية بأمر الله تعالى هو شيء يثير العجب عندهم ويملأ قلوبهم حقدا وحسدا اهـ(١) .

والباحث فى نقل يوحنا يجد أن حديث عيسى الأخير يعالج مسائل أساسية وآفاقاً مستقبلية ذات أهمية بالغة ، يحدد فيها بشكل قاطع المرشد الذى على الإنسانية أن تتبعه بعد اختفائه عليه السلام والذى ستمسك شريعته فى البشرية إلى الأبد ويسميه باسم يونانى هو (باركليتوس) الذى ترجمته بالفرنسية (فاركليت) وترجمته بالعربية المعزى أو المحمود المشهور أو المحامى والشفيع على اعتبار أن الأصل اليونانى هو باركليقس لا باركليتوس ولما كانت كل هذه الأسماء تنطبق على محمد صلى الله عليه وسلم فهو محمود عند متبعيه ، ومشهود بين سائر الناس ، وشفيع للكل يوم القيامة ، وضعوا كلمة الروح القدوس تفسيرا للمعزى حتى يصرفوا الأذهان عن هذا البيان الواضح ويقودوا الناس إلى متاهات الكلام بالكلام بغية طمس تلك البشارة البينة بالنبى عليه الصلاة والسلام، وقد أدرك بعض الباحثين المدققين المنصفين هذه الحقيقة فأعلنوها صريحة واضحة لا لبس فيها ولا غموض مثل موريس بوكاى العالم الفرنسى الكبير الذى حقق هذه المسألة وقال فيها كلمة الفصل والعدل والإنصاف ألا وهى أن المرشد الذى أمر عيسى عليه السلام الإنسانية باتباعه هو نبى يأتى من بعده وليس روح القدس كما جاء فى الإنجيل(٢) .

وأما القرآن الكريم فقد ذكر عن عيسى صراحة أنه مصدق لما بين

---

(١) راجع فى ذلك كتابنا العقائد المسيحية بين القرآن والعقل من ص ٣٨ : ٤١

(٢) راجع فى ذلك دراسة الكتب المقدسة فى ضوء المعارف الحديثة لموريس بوكاى ط دار المعارف ص ١٢٥ : ١٣٠

يديه من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعده اسمه أحمد فقال : (وإذ قال عيسى بن مريم يابنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) الصف ٦

ولا أظننى بعد هذا العرض الوافى الضافى للبشارات بالنبى صلى الله عليه وسلم فى التوراة والإنجيل والقرآن — مبالغاً أن ماذكره المؤلف من إنتهاء العهد القديم بوجود العهد الجديد لأن رسومه وطقوسه ليست سوى رموز تشبيهية تنتهى بمجىء المرموز إليه ، وبقاء العهد الجديد أبدياً لا ينهيه شىء إلى يوم القيامة ، لا أظننى مبالغاً إن قلت أن هذا الكلام من صاحبه هراء ومحض افتراء .

وما كان الدين الإلهى أبدا نابذاً للتقدم الاجتماعى والرقى الحضارى كما تصور الكاتب وتخيل بل هو صانع لهما فى كل مجتمع يتمسك به وينفذ تعاليمه ، وما رجع الإسلام بأهله القهقرى إلى الطقوس واليهودية ونبذ الرقى الروحى كما تريد المؤلف وتقول ، بل ارتقى بمتبعيه من وهاد الجهل وحمأت الرذيلة إلى ذرا العلم وقمم الفضيلة واستخلفهم الله عز وجل بسبب هذا الدين فى الأرض وبدلهم من بعد خوفهم أمنا ، وماذلك كله إلا أنهم تمسكوا بتعاليم الله جل ثناؤه ، المادى منها والروحى إذ قد اقتضت حكمة الله تعالى أن يجمع هذا الدين بين الروحانيات التى تملأ الوجدان والعواطف بهجة وسرورا والعمليات التى تضع للحياة نظاماً محكما موفوراً ، ولا عجب أن جاء هذا الدين على لسان رجل أمى يعيش فى الجزيرة العربية التى كانت آن ذاك أقل حضارة من الأمم المجاورة لها ، لأن فى هذا أبلغ رد على من زعموا أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد جاء بهذا الدين من عنده ، إذ ما كان لرجل أمى يعيش فى بلد غير حضارى أن يخرج على الناس بهذا الفيض الغامر من العلوم والمعارف التى عزت وتعز على أساطين العلم

وفحول العلماء والتى كانت وما زالت وستظل إن شاء الله مصدرا للهدى والنور فى سائر أنحاء الأرض وشتى مجالات الحياة ، فلاغرو إذن أن يلمح الله بتلك الشريعة الخاتمة الغراء ماسبق من أحكام عملية مطلقة فيما قبلها من الشرائع الأخرى وأن يجعل القرآن المنزل بها مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه .

أما أصول الدين التوحيد والقصص والإلهى الصحيح والأحكام المؤقته قبل أن يأتى وقتها وما إلى غير ذلك من سائر الأصول فهى واحدة لااختلاف فيها ولا تغيير ولا نسخ لها ولا تبديل من عهد آدم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، إذ قد تربت الطبيعة البشرية على مثل هذه المبادىء الثابتة الواحدة فى كل العصور وبها قاومت الفساد المتسلط عليهـــا ، أما احتياجات تلك الطبيعة البشرية وميولها واندفاعها نحو الخطايا والموبقات فإنه لايصلح ولايقوم إلا بالأحكام الإلهية العملية المطلقة التى ظلت تتجدد عصراً بعد عصر وجيلا أثر جيل متناسبة مع مايستجد فى حياة البشر من ظروف وأحوال على مر العصور والأجيال حتى إذا ماتم النضج البشرى واكتمل ، ولم يبق فيه من خلل إلا موضع لبنة بعث الله فيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالدين الخاتم والشريعة الأخيرة فكان هو اللبنة وكان خاتم النبيين ، ولاينصور عقل بشرى وسيلة صحيحة تحمل الإنسانية على العمل للدنيا والآخرة إلا هذا الدين العظيم الذى جمع بين ماتصلح عليه دنيا الناس وآخرتهم وكيف لا والذى أنزله هو الله العليم الحكيم أنه بعباده خبير بصير .

الدليل الرابع وإبطاله :

ماذكره المؤلف من أن دعوى نسخ التوراة منقوضة بأقوال الأنبياء والرسل بل بأقوال المسيح نفسه وليس فيما ترى صحيحا ولا مقبولا لأن أقوال الأنبياء والرسل ومنهم عيسى المسيح عليه السلام لم تنقض دعوى نسخ التوراة على ماذكره المؤلف وافتراه ، بل نقضت دعوى نسخ أصول الدين وابطال كلمات الله أى وعوده ومواعيده فى أى كتاب كانت كالوعد بنصر رسله ونشر دينه ، والبعث والنشور ، وقيام الساعة وحساب الناس بين يدى الخالق العادل وخلود المؤمنين بعد ذلك فى الجنة والكافرين فى النار إلى غير ذلك من أصول الدين التى لا يكذب فيها نبى نبيا ولا يخالف فيها كتابا سماويا صحيحا قال تعالى (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لامبدل لكلماته وهو السميع العليم) الأنعام ١١٥

وعلى هذا المعنى يكون مااحتج به المؤلف من قول أشعيا « يبس العشب ذبل الزهر وأما كلمة الهنا فتثبت إلى الأبد) سفر أشعيا ص ٤٠ : ٨)

دليلا على صحة ماذكرناه لاعلى ماذكره الكاتب وادعاه، ويكون معنى قول المسيح عليه السلام « السماء والأرض تزولا ولكن كلامى لايزول » « بشارة متى ص ٢٤ : ٣٥ » وبشارة مرقص ص ١٣ : ٣١ وبشارة لوقا ص ٢١ : ٣٣، على فرض تسليم صحته أن ماأوصاهم به عيسى سلام الله عليه من توحيد الله تعالى وافراده بالعبادة دون سواه لايبطل ولا يزول بل يصدقه ويثبته النبى الآتى بعده ، كما صدق فيه عيسى من قبله من الأنبياء فهو لاينغير ولا يتبدل إلى يوم القيامة . وعلى هذا المعنى أيضا يحمل قول عيسى عليه السلام أن صح نقله من رذلى ولم يقبل كلامى فله من يدينه ، الكلام الذى تكلمت به هو يدينه فى اليوم الأخير (بشارة يوحنا ص ١٢ : ٤٨)

وكيف لا يدان فى اليوم الأخير من ترك كلام عيسى وهو الداعى إلى وحدانية الله والمبشر برسالة رسول الله ﷺ ، والعائدون إلى الأرض قبيل الساعة ان شاء الله ليكسر الصليب ويقتل الخنزير ويحمل الكفار من أهل الكتاب وغيرهم على الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله بما فيهم محمد ﷺ واليوم الآخر ثم يكون يوم القيامة عليهم شهيدا) النساء ١٥٩ ،

فالإدانة فى اليوم الأخير ليست بموجب ماجاء فى هذه الأناجيل التى كتبوها وإنما هى بموجب كلام المسيح ووصاياه الصحيحة التى أوصى بها هؤلاء أنصاره وحواريه وبشرهم فيها بنبى آخر الزمان وعلى ماذكرناه سلفا فى موضعه من هذا البحث ، ومع ذلك فقد جعل الكاتب من قول بولس فى رسالته إلى أهل غلاطية (ص ١ : ٨) « ولكن ان بشرنا نحن أو ملاك من السماء بغير مابشرناكم فليكن أناثيا بعد أن أوله بما يرضى هواه السبب فى كفر النصارى بأى نبى يأتى بعد عيسى وتأكدهم من أن ماق العهد الجديد هو الوحى الأخير حيث قال مانصه : « وعدا ذلك أمرنا فى الإنجيل أمراً صريحا أنه إن جاءنا أعظم عظيم ولو ملاك من السماء وبشرنا بخلاف ماورد فى الإنجيل وادعى بأنه مرسل من الله يكون ملعونا (رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية ص ١ ٠ ٨) وهذه الأسباب ابتعد المسيحيون الحقيقيون عن ضلالات الأنبياء الكذبة الذين ظهروا بعد المسيح وادعوا بأنهم المشار اليهم فى الإنجيل بالفار قليط مثل مانى الفارسى وغيره وكذلك لم يتوقعوا وحيا جديدا غير المتضمن فى العهد الجديد .

قال هذا وتشدق به ونسى نباهته أن بولس صاحب هذا الكلام كان يهوديا متعصبا دفعه تعصبه إلى اضطهاد كنيسة الله اضطهادا شديدا قبل أن يتنصر كما ذكر هو عن نفسه فى الفترة الثالثة عشر من نفى الاصحاح فلما لم يجده ذلك نفعا تنصر ليضرب النصرانية من الداخل لامن الخارج ، فمن مصلحته إذن أن يحض الناس على تصديق مايقوله لهم دون سواه حتى

يزرع فيهم مايشاء من بذور الشر وقواه ونسى أيضا أنه لايصح ان يعارض مابينه عيسى المسيح عليه السلام بكلام يهودى متعصب لنصر بعد فترة من الكفر والانحراف كبولس هذا ، نسى أو تناسى كل هذه الحقائق وادعى مادعاه لكى يصل إلى مأربه من أن القرآن لم ينسخ الإنجيل والتوراة .... وهيهات .... ثم هيهات أن يتحقق له ماأراد والقرآن حجة الله البالغة بين أيدى الناس فى كل عصر ومصر شاهد على أن ماسبقه من كتب سماوية صحيحة قد صار أمراً نصدق به ولا نعمل بما جاء فيه من أحكام عملية مطلقة حيث قد انتهت مدة العمل بها ليحل محلها ماجاء فى الدين الخاتم من أحكام يصلح عليها أمر الناس فى شتى أقطار الأرض دنيا وأخرى .

خلاصة موجزة لما سبق من أفكار :

والآن .... وبعد أن كررنا على مادعاه المؤلف واحتج له من اتحاد الكتاب المقدس وعدم نسخ القرآن الكريم له فأبطلنا بما هدانا الله تعالى إليه من الأدلة البالغة والبراهين الدامغة فنستطيع أن نقول للكاتب وأمثاله خاصة وللنصارى عامة أن ماتدعونه من امتناع النسخ باطل لاريب فيه كيف لا وأن المصالح تختلف باختلاف الزمان والمكان والمكلفين فبعض الأحكام يكون مقدوراً للمكلفين فى بعض الأوقات ولا يكون مقدورا فى بعضها الآخر الاترون أن المسيح عليه السلام قال مخاطبا الحواريين « ان لى أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم ولكن لاتستطيعون أن تحتملوا الآن وأما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لانه لايتكلم من نفسه بل كل مايسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية ، ذاك يمجدنى لانه يأخذ مما لى ويخبركم » إنجيل يوحنا ١٦ فقرات ١٢ : ١٤ .

وهاقد جاء روح الحق ورسول الصدق وأرشد الخلق بما أنزل إليه من ربه إلى جميع الحق وماآتاهم بشىء من عند نفسه ، بل بلغهم ماسمع من ربه

دون ما زيادة ولا نقصان (وما ينطق عن الهوى ان هو إلا وحى يوحى) النجم ٤٥٣ .

وأخص بعثيات أعلنه بها رب السماء ، ويحد عيسى وغيره من سائر الرسل والانبياء ، ودعا الناس ليلا ونهارا إلى عبادة الواحد القهار ، وتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه عن طواعية واختيار ، لا عن اكراه واضطرار . فهل تعتبرون يا أولى الابصار ؟؟؟